

المنهج التربوي عند المعلم القدوة

محمد
صلي الله عليه وسلم

أ.ع. عزيزة عكوش

باحثة في العلوم الإسلامية - الجزائر

إِنِّي بَعَثْتُ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ
يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ
لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿آل عمران 164﴾.

فقام النبي ﷺ بدوره هذا أتم القيام،
وربى أصحابه أكمل تربية، وعلمهم
أحسن تعليم، إذ لم تعرف البشرية منذ
نشأتها مربيا أعظم منه صلى الله عليه
وسلم، ولم يحفظ لنا التاريخ سيرة معلم
ومرب كما حفظ لنا سيرة المعلم المربي
العظيم «محمد بن عبد الله» عليه أفضل
الصلاة و أزكى السلام.

التربية والتعليم من أهم ركائز بناء
الأمم والمجتمعات، بهما تصاغ الأطر
والكفاءات، وعليهما تقام الحضارات
وتحقق الأهداف والغايات.

وديننا الإسلامي دين العلم والمعرفة،
ويكفي دليلا على ذلك أن أول آية من
القرآن الكريم نزلت على المصطفى صلى
الله عليه وسلم هي قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ
بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق 1).

كما يقرر القرآن الكريم أن النبي
ﷺ بعث مزكيا، مربيا ومعلما، قال
الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

أولاً: منهجه في استعمال الوسائل التعليمية: أقصد بالوسائل التعليمية وسائل الإيضاح المختلفة، وكل أداة تستخدم لتحسين عملية التعليم والتعلم، وتوضيح المعاني والأفكار.

للسائل أو الوسائط التعليمية أثر كبير في ترسيخ المعلومات وتوضيحها، والرسول ﷺ وظف مجموعة من الوسائل التي كانت متاحة في عصره رحمة بالمتعلم الذي يحتاج إلى ما يعينه على توضيح المعلومة وترسيخها في ذهنه وإيقاع أثرها في قلبه، من هذه الوسائل التي وظفها عليه الصلاة والسلام نذكر:

1- الرسم: استعمل النبي ﷺ هذه الوسيلة التعليمية في بعض المناسبات، من ذلك حديث قصر الأمل، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «خط النبي ﷺ خطاً مربعاً، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خطاً صغيراً إلى

فتح برسالته عهداً جديداً، عهد العلم والمعرفة، حث على إعمال العقل ونبذ التقليد الأعمى والخرافات، وحض على طلب العلم ونشر المعارف والثقافات، وعمل على محو الأمية وما كان سائداً من الجهالة والظلمات.

اعتبر النبي ﷺ العلم فريضة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

وفي فضل العلم وطلبه، يقول عليه الصلاة والسلام: «من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة».

ومما يدل على حفاوة النبي ﷺ بالعلم ونشره ومحاربة الأمية ما رواه ابن عباس، قال: «كان ناس من الأسرى يوم بدر ليس لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة».

الدراسات

قال: «إن فيها أورقا». قال: «فأني ترى ذلك جاءها؟» قال: «يا رسول الله، عرق نزعها». قال: «ولعل هذا عرق نزع» ولم يرخص له في الانتفاء منه.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم غرز بين يديه عودا، ثم غرز إلى جنبه آخر، ثم غرز الثالث فأبعده، ثم قال: «هل تدرون ما هذا؟» قالوا: «الله ورسوله أعلم». قال: «هذا الإنسان، وهذا أجله، وهذا أمله، يتعاطى الأمل يختلجه دون ذلك».

3- الإشارة: الإشارة إحدى الوسائل التعليمية التي كان لها دورها ومكانتها في أحاديثه ﷺ، فقد استخدمها في مناسبات عديدة، توضيحا للمعنى، وترسيخا له في الأذهان، وتجسيدها له في ذاكرة المتعلمين، وزيادة في الفهم، ومساعدة على التفكير والتذكر.

هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، فقال: «هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به، أو قد أحاط به، وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا فمشه هذا، وإن أخطأه هذا فمشه هذا».

2- المجسمات ووسائل البيئة:

من الوسائل التي استعملها النبي ﷺ في الإقناع وترسيخ المعلومات والأفكار والقيم ما تحتويه البيئة من عينات ومجسمات، فكان ﷺ يستغلها لمعايشة المسلمين لها وقربهم منها، ومن ذلك:

قصة الغلام الأسود: عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن أعرابيا أتى رسول الله ﷺ، فقال: «إن امرأتي ولدت غلاما أسود، وإني أنكرته»، فقال له رسول الله ﷺ: «هل لك من إبل؟» قال: «نعم». قال: «فما ألوانها؟» قال: «حمر». قال: «هل فيها من أورك؟»

ثانيا: منهجه في البيان اللفظي: كان النبي ﷺ في حديثه للناس لا يكتفي بالسرد، وتلقين الأحكام بمجرد الأمر والنهي، وإنما كان يستعمل في كلامه النظري ما يدعمه ويؤكد، ويعين على تلقيه وفهمه واستيعابه وحفظه، لذا نجد ﷺ يمهّد لكلامه ويشوق السامع للتلقي، وينوع الأساليب حسب ما تقتضيه الحاجة أو الحادثة، وفيما يأتي أبرز خصائص منهجه في البيان اللفظي:

1- التمهيّد والتهيئة الذهنية:

التمهيّد بوابة ذهنية ونفسية وعلمية، تجعل المتعلم مستعداً متحفزاً لتلقي المعلومة أو الدرس، وقد كان النبي ﷺ كما ورد في الكتب من أحاديثه يمهّد للمعلومة ويهيئ السامع لاستيعابها، وكثيراً ما كان يستعمل لهذا الغرض طريقة السؤال والجواب، كما في هذه الأمثلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه،

فأحياناً يشير ﷺ بالسبابة والوسطى، كما في رواية سهل بن سعد رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»** وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً.

وأحياناً يشبك بين أصابعه، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً»** ثم شبك بين أصابعه.

وقد يضم أصابعه، كما في حديث أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: **«من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو»** وضم أصابعه.

وقد يشير بيديه إلى صدره، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: **«المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره. التقوى ها هنا»** ويشير إلى صدره ثلاث مرات.

في حاجة شديدة إلى شد انتباه المتعلمين للتركيز والتفاعل معه، والماهر هو من يحسن طرق تحفيز التلاميذ وتشويقهم وشد انتباههم، وقد كان القدوة محمد ﷺ متنبها لهذا المسلك، فطبقه بكيفيات متنوعة، منها:

أ- عن طريق السؤال والجواب:

كما مر سابقا، فإن النبي ﷺ كان يهدد لإلقاء المعلومة عن طريق طرح سؤال يعمل فيه المتعلمون عقولهم، وينتظرون الإجابة من معلم الحق النبي ﷺ.

ب- تغيير نبرات الصوت: عن عبد

الله بن عمرو قال: تخلفت عن النبي ﷺ في سفرة سافرها، فأدر كنا وقد أرهقنا الصلاة ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا، فنأدى بأعلى صوته: «ويل للأعقاب من النار» مرتين أو ثلاث.

ج- تغيير الجلسة: كما في حديث

أكبر الكبراء، فعن عبد الرحمان بن أبي بكرة عن أبيه قال: كنا عند رسول الله

أن الرسول ﷺ قال: «أندرون من المفلس؟» قالوا: «المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع». قال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار».

عن أبي عمر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، حذوني ما هي؟» قال: فوقع الناس في شجرة البوادي، قال عبد الله: فوقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: «حدثنا ما هي يا رسول الله؟» قال: «هي النخلة».

2- التحفيز والتشويق: إن المعلم

ﷺ ، فقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، أو وقول الزور» وكان رسول الله ﷺ متكئا فجلس، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت.

د- ذكر بعض المعلومة: وهذا مسلك آخر سلكه النبي ﷺ ليشوق السامع ويشد انتباهه للموضوع، ومن النماذج الدالة على ذلك:

ما رواه أبو شريح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: «من يا رسول الله؟» قال: «من لا يؤمن جاره بوائقه».

قوله ﷺ: «رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف» قيل: «من يا رسول الله؟» قال: «من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة».

3- التآني أثناء العرض: تفهم النبي ﷺ لأحوال المتعلمين، ورحمته بهم،

وحرصه على نفعهم، كل ذلك جعله يسلك في عرضه مسلك التآني والترسل والتؤدة في سرد المعلومات وإلقائها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان رسول الله ﷺ يسرد كسر دكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بين فصل، يحفظه من جلس إليه.

4- التكرار: لقد أوتي النبي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم، فكان كلامه موجزا مبسطا، ولكنه في ذات الوقت عظيم الوقع على قلب السامع وعقله، وهذه الخاصية في توجيهه صلى الله عليه وسلم تدفع الملل والسآمة لثلاث تتمكن من نفسية المتلقي، ومع قلة كلامه ﷺ، كان يكرره ثلاثا، تأكيدا وإتماما وإعانة على حفظ المعلومة. عن أنس رضي الله عنه: «كان إذا سلم سلم ثلاثا، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا».

ومن الأمثلة عن التكرار، قوله صلى الله عليه وسلم عند حديثه عن الكبائر:

فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً».

فانظر كيف أبرز، من خلال الحديث، أهمية الشعور بالمسؤولية الاجتماعية، وبوحدة المصلحة في المجتمع، وأن على كل فرد أن يكون صالحاً في ذاته من ناحية، ويصلح من حوله من ناحية أخرى، من خلال منع المنكر والانحراف بقدر طاقته.

وفي حديث آخر يحذر من صديق السوء، أو جليس السوء، من خلال بيان خطره ومقارنته بالجليس الصالح، ولكن بطريقة فذة يطلعنا عليها هذا الحديث: عن أبي موسى الأشعري رضي الله

«ألا وقول الزور» فما زال يكررها.

وعن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «ويل للأعقاب من النار» مرتين أو ثلاثاً.

5- التمثيل والتشبيه: ضرب الأمثلة واحد من الآليات والأساليب المهمة في التربية والتعليم، لذلك ينادي العلم الحديث بتطبيقه في المناهج التعليمية، ذلك لأنه يقرب الصورة من ذهن ويربط المتعلم بالواقع، من خلال تقديم القيم المعنوية في صور حسية ملموسة، لذا كان النبي ﷺ يفضل هذا الأسلوب ويوظفه في تعليمه وتوجيهه، وذلك ما يتجلى من خلال النماذج الآتية:

- يقدم لنا النبي ﷺ المعنى الحقيقي للحرية وضوابطها، ويقرر أن الحقوق الشخصية للفرد مرتبطة بحقوق الآخرين وحرياتهم، فيبين ذلك من خلال تمثيل رائع وتصوير بارع، فيقول ﷺ: «مثل القائم على حدود الله والواقع

وكان بإمكانه ذلك، لكنه ﷺ أراد أن يقدم درساً في الفضيلة والخلق، وأن يولد عنده الحس بالمسؤولية الاجتماعية، وحب الخير للآخرين كما يحب لنفسه، بأن لا يرضى للآخرين بما لا يرضاه لنفسه، فكان هذا الحوار الهادف الراقى المفعم بالحب والرحمة:

عن أبي أمامة قال: أن فتى شاباً أتى النبي ﷺ، فقال: «يا رسول الله ائذن لي بالزنا». فأقبل عليه القوم فزجروه، وقالوا: «مه، مه». فقال ﷺ: «أدنه» فدنا منه قريباً، قال: فجلس، فقال صلى الله عليه وسلم: «أتحبه لأملك؟» قال: «لا والله، جعلني الله فداك». قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاقهم» قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: «لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك». قال: «ولا الناس يحبونه لبناقهم» قال: «أفتحبه لأختك؟» قال: «لا والله، جعلني الله فداك». قال: «ولا

عنه، عن النبي ﷺ قال: «مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة».

6- الحوار: يعد الحوار من أبرز أساليب التربية التي تتجه إليها الأنظار في هذا العصر، لما له من دور فعال في الوصول إلى المعلومات والحقائق، فهو وسيلة اتصال فعالة وتعاون بين الأطراف، يكشفون من خلاله ما خفي عليهم عن طريق الاستدلال الصحيح. والنبي ﷺ كان يسعى إلى إقناع المتعلم بما يلقي إليه من معلومات، فاستعمل الحوار في بعض المناسبات، منها محاورته ﷺ لأصحاب النفوس الشاردة التي استبدت رغبتها في الرذيلة، كقصة ذلك الشاب الذي جاء يستأذن النبي ﷺ في الزنا، فلم يكتف بالرد عليه بكلمة أو بجملة،

يأمر بالشيء ولا ينهى عنه إلا ويكون
الممثل الأول، فيبدأ هو بالتطبيق لأنه
المثل والقدوة، إلا إذا كان مما يتعارض
مع خصوصياته ﷺ، وفي سيرته وسنته
نماذج كثيرة أقتصر على ذكر بعضها:

في صلح الحديبية، روى الزهري أنه
لما فرغ النبي ﷺ من كتابة الصلح، قال
لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا»
قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال
ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقيم منهم
أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما
لقي من الناس، فقالت أم سلمة: «يا
نبي الله، أتحب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم
أحدا منهم»، حتى فعل ذلك نحر بدنه
ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك
قاموا فانحروا، وجعل بعضهم يحلق
بعضا.

قصة الأعرابي الذي بال في المسجد:
عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن
أعرابياً دخل المسجد ثم جعل يبول،

الناس يحبونه لأخواتهم» قال: «أفتحبه
لعمتك؟» قال: «لا والله، جعلني
الله فداك». قال: «ولا الناس يحبونه
لعماتهم» قال: «أفتحبه لخالتك؟»
قال: «لا والله، جعلني الله فداك».
قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم» قال:
فوضع يديه عليه وقال: «اللهم اغفر
ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه» فلم
يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.
فهذا النبي ﷺ الطاهر المطهر، الصادق
المصدق، وحاكم الدولة، يستأذن في
واحدة من أبشع الرذائل والفواحش،
فيكون هذا رده وأسلوبه، فلنتخيل نحن
في زماننا ومجتمعاتنا التي اتخذت الإسلام
ديناً، ومحمدا نبيا ورسولا وقدوة، كيف
يكون موقف المعلم عندنا لو استأذنه
تلميذه في شيء ترفضه العادات أو يمنعها
قانون المدرسة؟!.

7- الجمع بين البيان النظري

والتطبيق العملي: إن النبي ﷺ لا

إبراز أهم ما ميز معاملاته صلى الله عليه وسلم المتعلمين، من خلال نماذج من سنته وسيرته ﷺ .

1- الترحيب وحسن الاستقبال:

الحفاوة والترحيب وحسن الاستقبال من الأخلاق الإسلامية العالية الدالة على الحب والاحترام والرحمة والتقدير للغير، هذه المعاملة وهذه الأخلاق تجسدت في شخص النبي ﷺ مع المسلمين عامة والطلابين للعلم خاصة.

جاء صفوان بن عسال رضي الله عنه إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله، إنني جئت أطلب العلم». فقال ﷺ: «مرحبا بطالب العلم، إن طالب العلم لتحف به الملائكة وتظله بأجنحتها فيركب بعضها بعضا حتى تعلقوا إلى السماء الدنيا من جهم لما يطلب، فما جئت تطلب؟» قال: «يا رسول الله، ما زلت أسافر بين مكة والمدينة، فافتني عن المسح على الخفين».

فأخذت الصحابة الغيرة، فهو وصاحوا به، ولكن النبي ﷺ قال: «لا تترموه» (أي لا تقطعوا عليه بوله)، فلما قضى الأعراي بوله، أمر النبي ﷺ أن يصب عليه ذنوب من ماء، ثم دعا الأعراي وقال له: «إن هذه المساجد لا يصلح فيها شيء من الأذى، أو من القذر، وإنما هي للصلاة وقراءة القرآن وذكر الله عز وجل».

ثالثا: منهجه في معاملة المتعلمين:

المعلم مرب بالدرجة الأولى والتعليم جزء من عملية التربية، ثم إنه مرشد ووجه للتلاميذ علميا ونفسيا واجتماعيا وسلوكيا، والنبي صلى الله عليه وسلم أدبه ربه فأحسن تأديبه، فاجتمعت فيه الفضائل وتتره عن المعايب، فكان بحق أتم الناس خلقا لأنه بعث ليتم مكارم الأخلاق.

بهذا الأدب وبهذا الخلق ربى النبي ﷺ وعلم وأرشد ووجه، وفيما يأتي

أم يقول له: اجلس، وهو متذمر لتزايد عدد التلاميذ في القسم؟.

2- التوجيه غير المباشر: كان خلق

النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، فتحلى بكل فضيلة وتحلى عن كل رذيلة، وكان عليه الصلاة والسلام يهدف إلى الإصلاح والبناء، لا التشهير والتنفير، لذا لم يكن يواجه المخطئ بخطئه، بل كان يستعمل في ذلك ضمير الغائب، فيقول أمام الجموع بما فيهم المخطئ: «ما بال

أقوام يفعلون كذا وكذا؟». ولا شك أن هذه الطريقة في الزجر والعتاب أولى من طريقة التصريح، وأنها دليل الرحمة والشفقة والنصح للغير، وهي أولى من التصريح الذي قد يهتك حجاب الهيبة، وربما يورث الجرأة على المخالفة وعدم الاستجابة، خاصة إذا كان وسط الملاء.

ومن النماذج الكثيرة التي استعمل فيها النبي ﷺ التوجيه غير المباشر، قصة الرجل الذي استعمله النبي ﷺ على

وعن أبي رفاعه رضي الله عنه قال: انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب، قال: فقلت: «يا رسول الله، رجل غريب جاء يسأل عن دينه، لا يدري ما دينه»، قال: فأقبل علي رسول الله ﷺ وترك خطبته، حتى انتهى إلي، فأتى بكرسي حسبت قوائمه حديدا، قال: فقعده عليه رسول الله ﷺ، وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتى خطبته فأتم آخرها.

فها هو عليه الصلاة والسلام يوقف الخطبة و يجلس للمتعلم ويتفرغ له، إنه الأدب الجرم والخلق الرفيع، إنه الأسلوب الراقي الحكيم الذي يبعث في النفوس حب العلم وأهله، ويرغبهم في طلبه والاستزادة من معينه.

ولنتساءل عن حال المعلمين اليوم، كيف يكون استقبال أحدهم لطالب جديد يدخل لأول مرة؟ هل سيرحب به؟ هل يعامله بهذه الحفاوة وهذا اللطف؟

المطمئنة المساعدة على التعليم وتطوره واتساع مساحته، وهذا ما يتضح من خلال هدي النبي صلى الله عليه وسلم في معاملته للمتعلمين.

يقول جرير بن عبد الله البجلي: «ما حجبتني رسول الله منذ أسلمت، فلا رأيي إلا ابتسم في وجهي».

وجاء رجل لا يعرفه وقد أخذه الفزع، يظن أنه داخل على ملك من الملوك، فأخذ النبي ﷺ يطمئنه ويهون عليه قائلاً: «هون عليك فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد».

هذا وقد كان ﷺ يخالط أصحابه ويشاركهم أحاديثهم ويستشيرهم ويسليهم ويواسيهم، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال في خطبة له: «إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا ويتبع جنازنا ويغزو معنا ويواسينا بالقليل والكثير».

الزكاة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي لي. فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «ما بال عامل أبعته فيقول: هذا لكم وهذا أهدي لي! أفلا قعد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا؟ والذي نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه بعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر» ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه، ثم قال: «اللهم هل بلغت؟» مرتين.

3- تأليف القلوب وكسر الحواجز:

النفس البشرية بطبيعتها تميل إلى الأنس والألفة والتواضع والإحسان، وتنفر من الغلظة والعبوس والكبر والجفاء، ووضع الحواجز المنيعة بين المعلم والمتعلم ليس، كما يظن البعض، كفيلاً بإيجاد البيئة المناسبة للتعليم، بل التبسط وإزالة الحواجز من أهم الأسباب التي تهيئ البيئة

الدراسات

وهكذا جذب النبي ﷺ أسلوب الثناء والتشجيع، وبه ربي وعلم وكون وأرشد ووجه، أما أسلوب العتاب واللوم الذي قد يفضله الكثير من المربين اليوم فلا يثمر إلا ضمورا في القدرات وموتا للمواهب.

5- مراعاة التدرج: الشريعة

الإسلامية مبنية على التدرج، والقرآن الكريم خاطب الناس ابتداء بالأهم فالأهم، بحيث كان التأكيد أولا على تصحيح العقيدة وتثبيتها، ثم الفرائض، ثم سائر الأحكام. تقول عائشة رضي الله عنها: «إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبدا...».

ونفس المنهج طبقه النبي ﷺ في

4- التعزيز والمكافأة: المكافأة

بأنواعها المادية والمعنوية لها مفعول عجيب في أسر القلوب وإثارة النفوس وتشجيعها على الاستزادة من العلم والإقبال عليه، وكان من منهج النبي ﷺ الثناء والتشجيع وتسليط الضوء على مكامن الحسن والكمال.

عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «أبا المنذر، أي آية معك من كتاب الله أعظم؟» قال: قلت: «الله ورسوله أعلم». قال: «أبا المنذر، أي آية معك من كتاب الله أعظم؟» قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾ قال: فضرب في صدري وقال: «ليهن لك يا أبا المنذر العلم».

وربما استعمل النبي ﷺ هذا الأسلوب بغرض التوجيه إلى سلوك حسن أو عمل خير، فعن ابن عمر في الرؤيا التي رآها فقص على أخته حفصة فقصتها على النبي ﷺ فقال: «نعم الرجل عبد الله».

ضعف، والحزم من غير بطش، وهذا الذي كان عليه النبي ﷺ، فالتف الصحابة من حوله، أطاعوه عن حب، وامثلوا لأوامره ونواهيه بصدق وإخلاص، ومن النماذج الدالة على صفة الحلم في شخص النبي ﷺ النموذج الآتي:

كان زيد بن سعدة قبل إسلامه يقول: «ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفت في محمد، إلا اثنتين لم أخبرهما: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل إلا حلما». فجاء النبي ﷺ يتقاضاه ديناً عليه، فجذب ثوبه عن منكبه، وأخذ بمجامع ثيابه، وأغلظ له، ثم قال: «إنكم يا بني عبد المطلب مطل». فانتهره عمر، وشد له في القول، والنبي ﷺ يتسم، فقال رسول الله ﷺ: «أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر! تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي» ثم قال: «لقد بقي من أجله ثلاث» وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين

التربية والتعليم، فعن ابن عباس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن، قال: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإنهم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم».

وهو في هذا الحديث ينبه المعلمين إلى ضرورة التدرج مع المتعلمين، وأن الاهتمام أولاً يكون بالأساسيات ثم الفرعيات.

6- الجمع بين الحلم والحزم: الحلم والحزم صفتان قلما تجتمعان في الشخص الواحد، والمعلم المثالي هو الذي يصل إلى قلوب التلاميذ، فيكسب حبهم واحترامهم وطاعتهم له في آن واحد، ولا يمكنه بلوغ ذلك إلا باللين من غير

عليه الصلاة والسلام: «أفتان أنت يا معاذ؟ أفتان أنت يا معاذ؟ أفتان أنت يا معاذ؟».

ففي الحديث الأول علم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه درسا في الحلم بطريقة عملية كانت سببا في إسلام الرجل الذي جاء طالبا حقه بتلك الطريقة القاسية، وفي الحديث الثاني تعلق لأمر بحقوق الآخرين، فاختار الحزم والشدة حفاظا على حقوق الناس وكرامتهم.

7- الصبر وسعة الصدر: لا

يمكن أن يلج مهمة التعليم من لم يكن متحليا بالصبر وسعة الصدر أو مستعدا لكسبهما، ذلك أن المعلم يصادف أنواعا وأصنافا من المتعلمين، وتعرضه مواقف وعقبات لا يمكنه تجاوزها إلا بالصبر والتحمل، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم تجسيد لخلق الصبر، ولاختفاء بما يؤثر من صبره وحلمه وأن كل حليم قد

صاعا لما روعه، فكان سبب إسلامه.

وهذا الحلم من النبي ﷺ ليس عن ضعف أو هوان، إنما عن رحمة وسعة صدر منحه الله إياهما، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلاَوْ كُنْتَ فَظًا غَاطِبًا لَاقْتُلُوا آلَ نَوْفَلٍ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران 159).

وكان ﷺ عفوا حليما ما دام الأمر متعلقا به ﷺ، لأنه لم يكن يغضب لنفسه قط، أما إذا تعلق الأمر بحق من حقوق الله أو حقوق الآخرين، فحينئذ يكون للنبي ﷺ مواقف أخرى تدل على حزم وصلابة في الحق، لكن من غير قسوة أو غلظة، إلا إذا اقتضت الحاجة ذلك، فقد شدد النبي ﷺ في معاتبة معاذ بن جبل لما أطال الصلاة، وكان في المصلين ذو حاجة فقطع الصلاة وانصرف، فلما علم معاذ بخروجه قال: «إنك منافق». فشكى الرجل ذلك إلى النبي ﷺ، فقال

عرفت منه زلة، وكل صابر حفظت له هفوة، وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبرا وعلى إسراف الجاهل إلا حلما.

كان النبي عليه الصلاة والسلام يجب عن أسئلة أصحابه بما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وكان يعطي لكل سؤال حقه من الإجابة بقدر ما يستحق من الإيجاز أو التفصيل، يجب ﷺ عن كل الأسئلة مهما كان نوعها بطريقة شافية كافية فلا يدع مجالا للإلهام أو الغموض، ومما يدل على ذلك استعماله ﷺ أسلوب الحوار وأسلوب السؤال والجواب مع ما يتطلبه كل منهما من صبر وتأن.

كما أن للتحلي بالصبر وضبط النفس دور في استيعاب أخطاء المتعلمين وتجاوزها، ولا خير في الثوران الذي يصيب بعض المعلمين لأنفه الأسباب فيجعلهم فرجة للمتعلمين الذين يتلذذون بذلك ويستغلون المنظر لإثارته والتمرد

عليه والخط من قيمته.

8- الرفق واللين: علم النبي ﷺ

خلق الرفق واللين لأصحابه وعلمهم به. فجسد ﷺ الرحمة في أسمى معانيها وهو الذي بعث رحمة للعالمين، فقد قال فيه الله تعالى: {عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} (التوبة 127). وقال: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (الأنبياء 106). قال عليه الصلاة والسلام: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يتزع من شيء إلا شانه». وقال ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه».

والمعلم في مهمته يتعامل مع بشر يملكون عقولا ومشاعر وأحاسيس، لذلك كان خلق الرحمة واللين من أهم الصفات الإنسانية التي يجب أن يتحلى بها المربي، فالرحمة تدفعه إلى الحرص على

ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته تقديم التيسير على التعسير والبساطة على التعقيد. عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما خير رسول الله ﷺ بين شيئين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً».

9- مراعاة الفروق الفردية بينهم:

كان النبي ﷺ يختار الأساليب التي تتلاءم وطاقاة المتعلمين وتطارد الملل الذي قد يصيب بعضهم، لذا كان يقتصد في تعليمه سواء من حيث الزمان الذي يحدثهم فيه أو مقدار ما يلقيه عليهم، فكان يقلل من الكلمات كما سبق وأن رأينا، كما كان يباعد بين موعظة وأخرى، وهذا ما صرح به ابن مسعود حين قال: «كان يتحولنا بالموعظة في الأيام كراهة السأمة علينا».

ولا شك أن هذا المنهج له دور في طرد الملل واشتياق النفس وانشراح الصدر وتنشيط الذهن وتحفيزه للتلقي.

على تجاوز هفواتهم وأخطائهم وسوء تصرفات بعضهم، فتجمع عليه قلوب المتعلمين وتنجذب إليه عقولهم فيكسب حبهم وتقديرهم واحترامهم وطاعتهم. ومن النماذج التي تصور هذا الخلق في المسيرة التعليمية النبي صلى الله عليه وسلم قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، وفي هذا الحديث درسان لصنفين من المتعلمين، وكل درس يشمل مجموعة من التعاليم والفوائد:

الدرس الأول: موجه للصحابة وهو تعليمهم الأسلوب الأمثل في التعامل مع أخطاء المتعلمين، وأرشدتهم إلى وجوب التيسير واجتناب التعسير بقوله عليه الصلاة والسلام: «**علموا ويسروا ولا تعسروا فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**».

الدرس الثاني: موجه للأعرابي حيث علمه آداب المسجد وبعض أحكام الطهارة.

كما لم يغفل النبي ﷺ عن اختلاف المتعلمين في القدرات والاستعدادات، لذا كان يسير معهم بقدر فهمهم فلا يلقي إليهم ما لا تبلغه عقولهم. وكان يخاطب كل أحد بقدر فهمه وبما يلائم منزلته وحاله، ومن أمثلة ذلك وصاياه، إذ قال رجل للنبي ﷺ أوصني، قال: «**لا تغضب**» فردد مرارا قال: «**لا تغضب**». وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: «قلت يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك»، قال: «**قل آمنت بالله فاستقم**».

وتعلم الصحابة هذا المنهج من النبي صلى الله عليه وسلم، فقال علي: «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله»، وقال فيما رواه ابن مسعود: «ما أنت بمحدث قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة».

10- احترام المتعلم وتقديره:

للعلاقات الإنسانية دور مهم في تحسين

العملية التعليمية والدفع بها نحو الأمام، فالمعلم الناجح هو الذي يستطيع الوصول إلى نفوس الناس وكسب ودهم من خلال احترام مشاعرهم وتحسيسهم بأنهم موضع احترام وتقدير، وكان هذا الأسلوب من أسمى ما تميز به المنهج التربوي النبوي، فكان ﷺ يمنح السائل والمتعلم رعاية وتقديراً واحتراماً مما يكسبه ثقة واطمئناناً وأماناً فيقبل على النبي صلى الله عليه وسلم فيلقي عليه السؤال كيفما كان ويعبر بكل راحة عن مكونات نفسه لا يمنعه من ذلك حياء أو خوف أو هيئته العلمية صلى الله عليه وسلم. عن أبي أيوب رضي الله عنه أن أعرابياً عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها، ثم قال: «يا رسول الله، أو يا محمد، أخبرني بما يقربني من الجنة وما يباعدني من النار» قال: فكف النبي ﷺ ثم نظر في أصحابه ثم قال:

مسؤوليتها أن يقتبس من نور سنته صلى الله عليه وسلم ويقتنص من عطر سيرته، فيسخر كل قدراته والوسائل المتاحة لديه لتحقيق الهدف المنشود من صناعة الأجيال، فهم الثروة الحقيقية التي تمتلكها الأمم والبلدان، ولا ينبغي أن يغيب عن ذهنه أن كل فرد من المتعلمين هو عنده أمانة ائتمنه الله تعالى عليها وأنه مسئول عنها يوم القيامة، قال عليه الصلاة والسلام: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته».

ملاحظة: الموضوع موثق وله مراجع.

«لقد وفّق، أو لقد هدي» قال ﷺ :
«كيف قلت؟» قال: فأعاد، فقال النبي ﷺ : «تعبّد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم، دع الناقة».

هذه بعض سمات المنهج النبوي في التربية والتعليم، إنها معالم أتت ثمارها، كون رسول الله صلى الله عليه وسلم بها خير أمة أخرجت للناس، فكانت ملء سمع وبصر العالم، منهج شامل متكامل متوازن يجمع بين الأسباب المادية والأبعاد الروحية والحاجات النفسية، فحري بمن امتحن هذه المهنة وتحمل

